الليبيون وتجارة القوافل خلال العصور الوسطى

.

أ - دكتور محمد الجراري

الملخص :

هناك عوامل تاريخية وجغرافية وبشرية (صفحات 1-10) كونت أساسا صالحا لوجود وازدهار مهنة التجارة في ليبيا .

لكن اتساع الأرض الليبية وتباعد بقع الاستقرار فوقها وصعوبة المواصلات وبدائيتها وقلة الموارد الطبيعية وانتشار البداوة صعبت قيام حكم مركزي ضابط وقادر على فرض الأمن الذي بدونه لا يمكن أن تقوم تجارة .

وعلى هذا الأساس تكونت جماعات ، ذات نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متقاربة وغير متطابقة ، تعايشت فيما بينها على أساس الاستقلالية والتبعية معتمدة على رادعي الذنب الديني والعار الاجتماعي ، لتعويض نقص السلطة المركزية ، من أجل إقرار السلم الاجتماعي والأمن الذي لا يمكن للتجارة أن تكون بدونه (صفحات 10-14)

هذه الورقة تحاول مناقشة هذه الإمكانيات التي جعلت من ليبيا بلداً تجاريا .

وعلى هذا الأساس تكونت جماعات ، ذات نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متقاربة وغير متطابقة ، تعايشت فيما بينها على أساس الاستقلالية والتبعية معتمدة على رادعي الذنب الديني والعار الاجتماعي ، لتعويض نقص السلطة المركزية ، من أجل إقرار السلم الاجتماعي والأمن الذي لا يمكن للتجارة أن تكون بدونه (صفحات 10-14)

هذه الورقة تحاول مناقشة هذه الإمكانيات التي جعلت من ليبيا بلداً تجاريا .

النص :

يقول الحسن الوزان " في فزان وغدامس يلتقي التجار القادمون من الساحل والقوافل القادمة من الجنوب وتتم المعاملات ويتوجه كلٍ إلى نقطة انطلاقهِ (زليتنر، الطلحي 2001: ص 42 سطر 12 - 15) .

وأكد ذلك ناختيجال بقوله : " تتجمع في فزان بضائع الشمال المتدفقة من تونس وطرابلس ومصر كي تحمل إلى بلاد السودان حيث تتكدس بالمقابل بضائع الجنوب لتنقل بالاتجاه المعاكس ، فقد كان عيار الذهب (يجعل أنصاف سبائك) المستخرج من أعالي نهر النيجر يصل فزان على مدى

قرون طويلة وذلك عن طريق تمبكتو ، ونتيجة لذلك ظل مثقال الذهب وأجزاؤه العملة المتداولة في فزان حتى حوالي منتصف القرن التاسع عشر حيث دخل مع الإدارة العثمانية الريال النمساوي (ابوظبي) والريال الأسباني إلى التداول في فزان " .

لقد كانت فزان بمعناها الواسع أي كل جنوب ليبيا هي نقطة الالتقاء للطرق القادمة من كوار وكانم وكانو من أفريقيا والطرق القادمة من مصر وبنغازي ومصراتة وتاجوراء وطرابلس وتونس والمغرب والساقية الحمراء .

وكانت مدن ليبيا من أمثال غدامس وغات والقطرون ومرزق وجرمة وسبها وبراك وسوكنة وودان وزويلة وجالو وزلة وأوجلة والكفرة هي السوق والمخزن والمأوى ومكان الراحة لآلاف التجار والحجاج والمسافرين والقوافل والبضائع. لقد غصت كل هذه المدن والواحات بالفنادق والخانات والوكالات التجارية وأماكن التخزين والأسواق العامرة والرباطات والأضرحة والمساجد والزوايا والكتاتيب والمدارس .

لقد كانت هذه المناطق والمدن منفتحة بشواطئ واسعة على بحرين هما المتوسط شمالا والصحراء الكبرى جنوبا ، فعبر مدن طبرق ودرنة وبنغازي ومصراتة والخمس وتاجوراء وطرابلس وزوارة تنقل البضائع الأفريقية إلى جنوا والبندقية وفلورنسا وصقلية وألمانيا وفرنسا وإنجلترا وأسبانيا وغيرها من مناطق أوربا وتحضر البضائع الأوربية إلى تشاد ومالي والنيجر وبقية أواسط أفريقيا ، وإلى ذلك يشير زليتنر " كان السكان في مصراتة يملكون ثروات ضخمة ولا يدفعون أي نوع من الضرائب والرسوم . كانوا يشترون البضائع التي تأتي بها سفن البندقية وينقلونها إلى نوميديا حيث يقايضونها مقابل الرقيق والمسك وعطر الزباد والتي تأتي من إثيوبيا ويصدرون كل ذلك إلى تركيا وهكذا يحققون أرباحا مضاعفة " (زليتنر / الطلحي 2001 : ص 41 ، سطر 15-20).

ولتحقيق هذه الدورة التجارية العالمية اشتغل آلاف التجار والممولين والمخزنين والعارضين والناقلين والحراس والصناع والمزارعين والرعاة والجمالة والمرشدين والكتبة والمدرسين والمحاسبين والإداريين والفقهاء والقضاة والفنانين والمطربين والخدم والعبيد .

لقد عادت هذه التجارة على الليبيين بثراء ورخاء جعلها مضرب المثل والمقارنة لدى الكُتّاب من أمثال دلمارمول " كانت تونس غنية بالأثاث والمعدات ولكن طرابلس تفوقت في الذهب والفضة واللالىء وكل السلع بفضل التجارة . لقد كانت في المدينة عادة مائة وخمسون مشغلا لصناعة أقمشة الحرير بالإضافة إلى أخرى عديدة لصناعة الشيلان وغيرها من المنسوجات الرفيعة دون الأخذ في الاعتبار أعداداً من البقالين والتجار الميسورين " (زليتنر / الطلحي2001 : ص 28 ، سطر 15-20).

لقد كانت حركة واسعة ونشاطا ضخماً احتاج لمعادلات اجتماعية خاصة وأنظمة سياسية معقدة علاوة على آلاف الكيلومترات من طرق القوافل الآمنة المطمئنة . فالتجارة صناعة حساسة تجمع بين الجرأة والحذر والمغامرة والتروي والشجاعة والخوف .

هل كان الموقع الليبي والإنسان الليبي والنظام الليبي مواتيا لشروط صناعة التجارة؟

تاريخيا :

لقد وثـقت الرسوم الحجرية وكتابات المؤلفين الإغريق والرومان ما يؤشر إلى وجود تواصـل بين الشمـال والجنـوب عبر الصحراء ، فالعربة المرسومة على الجدران والصخور والمجرورة بخيول قد لا توحي بإمكانية عبور الصحراء لكن الجمل الذي تعكسه بعض الرسوم من قرزه وغيرها من المناطق يوفر إمكانية هائلة لعبور الصحراء علاوة على استعمالاته في الزراعة والحرب كما يوضح كوريبوس (اليوحنية / الجراري 1988 : الكتاب الخامس، سطر359-389 و420-430 ، الكتاب السادس ، سطر 196 وغيرها كثير) وبرو كويبـوس (Book IV XI 9-51، Book III VIII 25-26) ، أما هيرويـدوت (Herod, IV. 181 – 183 – 196; 1132) ، وبليـــي (Plny, 7 - 10) وسترابـــو (Strabo, XVII 835) فإنهـــم يشيرون إلى تواصل ومغامرات بشرية ليبية لعبور الصحراء .

وقد تأكدت السيطرة الليبية على الصحراء وتعززت بمجيء الإسلام والعرب الذين حولوا الصحراء ، بفضل خبرتهم الطويلة بالجمل وبالصحراء ، إلى ممالك ومسالك ربطت ما بين أفريقيا وأوربا واسيا حتى

قدر أن ثلثي الذهب المتداول في منطقة البحر المتوسط خلال العصور الوسطى كان مستورداً عبر الصحراء من أفريقيا وعبر التجار العرب (Pekka Masonen, 2006, P. 5 L.28) لقد ساهمت هذه التجارة في خلق وازدهار الكثير من المدن والمستوطنات([1>) في ليبيا كما في غيرها من المناطق وذلك بسبب المردودية الضريبية العالية التي كانت تعود على هذه المحطات التجارية من نقل وتوزيع مواد هذه التجارة ، فمنذ العهد القرطاجي تتحدث المصادر عن أن دخل قرطاجة فقط من ضرائب تجارة القوافل الواصلة إلى طرابلس من فزان يتراوح ما بين 20 و27 كيلوجرام من الذهب يوميا (عبدالله العروي 1984 : ص 65).

جغرافيا :

تعتبر ليبيا أقرب نقطة بين أواسط أفريقيا والبحر المتوسط فبفضل ارتداد خليج سرت تقلصت المسافة بين بلدان حوض تشاد وشواطئ المتوسط بما يقرب من ألف كم ، مما جعل ليبيا كما يقول بارث (1821-1865م) تمثل " اقرب الطرق إلى قلب التكرور والسودان " (خليفة التليسي 1974 : ص 152؛ جاك تيري / الطلحي 2004 : ص 511 وما بعدها) وقد زاد من

أفضلية هذا الطريق أمنه النسبي مقارنة بغيره . فبينما الطرق عبر المغرب والجزائر محفوفة بالمخاطر كما يوضح ابن بطوطة (1304-1378م)، يؤكد الرحّالة النمساوي لودفيغ سلامة الطريق الليبي حين ينقل عن الوالي علي رضا باشا قوله لسفير فرنسا بليبيا " إذا اعتزم الفرنسيون إرسال شيء إلى قواتهم على مسافة بضعة أميال خارج تحصيناتهم فإنهم يحتاجون لهذا الغرض إلى كتيبة كاملة وأنا أرسل جمالا محملة بالمال والمؤن ولا يرافقها سوى ضباط صف في رحلتها على ابعد موضع في فزان"، (رحلة على ظهر يخت في السرتين [سرت الكبير وسرت الصغير> ، Ludwig Salvator, Yachtreise In Der Syrten, 1873) ([2]<)، ولزيادة الأمن تنازلت دول المدينة الرئيسية في طرابلس ومرزق وغيرهما عن جزء من عائداتها للمدن والمشائخ والمناطق المارة بهم الطريق فمثلا الطريق من عين صالح حتى غدامس سلمت لطوارق افوغار أما الطريق من عين صالح حتى غات فيشرف عليها طوارق الأزقار مقابل قيمة محددة ، أما الطريق المارة باجدابيا " فصاحب صلاة " المدينة أي إمامها يتولى أمور حمايتها مقابل ضريبة على كل رأس ، كذلك الحال في سرت ومصراتة وطرابلس وزلة وودان وغدامس وبلاد جبل نفوسة وغات وجرمة وزويلة التي كانت الأهم نظرا لكونها الباب الرئيسي للسودان وفي

بعض السنوات كانت إيرادات برقة تفوق طرابلس بسبب كثرة حيواناتها المصدرة لمصر وتوافد التجار عليها من الشرق والغرب للتسوق (جاك تري / الطلحي 2004: ص 599-630).

كما أن مصادر المياه في هذا الطريق تقع على مسافات مناسبة تجعل المسافر أكثر اطمئناناً ورغبة في استعمال الطريق الليبي عوضا عن الطرق الأخرى التي تتباعد فيها مصادر المياه (جاك تري / الطلحي 2004 : ص 595) ومن مميزات الطرق الصحراوية الليبية انتهاؤها شمالا إلى شاطئ بحري طويل وعامر بالمدن المهمة مما يسهل إمكانية التسوق والتسويق والتبادل الأسهل والأسرع. ومن المعروف أن الإطلالة الواسعة على البحر تعد من العوامل الهامة والحاسمة في مجال التنمية والتنافس الاقتصادي للدول المتمتعة بها كليبيا (زليتنر / الطلحي 2001 ؛ جاك تيري / الطلحي 2004 : ص 511 وما بعدها) .

بشريا:

تعبر شهادات الرحّالة والكتّاب والمؤرخين عن سجية التعامل السمح مع البشر والتي هي الرأسمال الضروري لأي مشتغل بالتجارة . فصاحب كتاب الاستبصار يصف الليبيين قائلا :" أكثر أهلها تجار يسافرون براً وبحراً وبهم سمح في تجارتهم وهم أحسن الناس معاملة " السيد دي فاليير القنصل الفرنسي بطرابلس كتب في مذكراته سنة 1785 " ان الجميع في هذه الولاية من الابن الأكبر للحاكم إلى اصغر مواطن هم تجار وكلهم مشاركون في الثروة العامة " (زليتنز / الطلحي 2001 : ص11) ،المقدسي (946-1000م) يصف أهل برقة بأنهم أهل خير وصلاح يعاملون الأجانب بلطف (جاك تيري / الطلحي 2004 : ص 385)، أما الحشائشي فيقول :" ان طباعهم تميل إلى البداوة أكثر من الحضارة وهم على كمال بشري في أنفسهم وغالبهم يميلون إلى التجارة ولهم متجر عظيم مع أهل السودان من برنو وواداي وغات " (الأسواق بطرابلس 2001 : ص 14-15).

أما الحسن الوزان من القرن الخامس عشر فيصف الليبيين بقوله :" وسكان ليبيا سواء منهم الأفارقة والعرب ، ذوو كرم ولطف يعملون كل ما في استطاعتهم لخدمة إخوانهم ويحترمون الغريب غاية الاحترام وهم على

جانب كبير من الطيوبة والصراحة والاخلاص " (حسن الوزان / حجي والاخضر 1982 : ج1 ، ص 87) ويتحدث رولف (1831-1860م) عن الليبيين قائلا :" أما طباع أهل فزان (الليبيين) فتبين أنهم شعب طيب ومستقيم وداخل منطقة فزان يشعر المرء بالأمان من قطّاع الطرق واللصوص وفي وسع المرء أن يدع أغراضه في وسط منطقة أهله دون حراسة ودون أن يكترث بأنها تسرق " (رولفس / عماد غانم ، سبها : ص 152).

ويرجع إبراهيم فخار أهمية ليبيا على أنها " تحتل مركز الصدارة في تاريخ العلاقات التجارية بسبب موقعها الجغرافي الممتاز ومهارة تجارها واستقرارهم النفسي " وقد ترافقت هذه اللازمة الأساسية للتجارة ، وهي حسن المعاملة ، مع الاستعداد الفطري للمنافسة المعززة بشح الموارد وحافز الخوف من العار ، إضافة للمبادرة والانفتاح والقدرة على ابتداع الحلول والتوفيق بين القيم الدينية والاجتماعية أو الذنب والعار لأزمتي العقل الجماعي الليبي (دوماتيسيو H.M.DEMATHUISIEULX / الطلحي ، مخطوطة تحت الطبع ، ص 57) .

· فمثلا المدرسة المالكية رفضت الاتجار مع السودان ، ففي سنة 938م كتب أبوزيد القيرواني مفتي المالكية بالقيروان " يكره الذهاب للمتاجرة في بلاد العدو وفي السودان " (996-922م) هذا التشدد ناقضه المذهب الأباضي الذي أحل التجارة مع السودان .

· أما الاقتراض من أجل المتاجرة أو تسليم مبلغ مالي لشخص آخر بغرض المتاجرة به واقتسام الأرباح هذه غير مشجعة لدى المالكية حسب فتوى الحسن علي القابسي (1012-935م) الذي يرفضها بسبب المخاطر ولأن هذا التعامل يؤدي إلى الربا الحرام واحتمالات الغش . وقد تم تخفيف ذلك بفتاوى مختلفة تماما كما فعل مع تجارة العاج التي كرهت لأن الفيل لم يتم ذبحه بالطريقة الشرعية . وتغلب على ذلك بالقول أن ناقل الكفر ليس بكافر ، هذا الميل الليبي للتسامح تجلى أثناء الاستعمار الأسباني لطرابلس ففي فترة حكم طرابلس من قبل الأسبان وتولي الأسبان الإدارة كسدت الأسواق وتضررت التجارة مما دعا القوافل والتجار للتحول إلى مصراتة فازدادت أمور طرابلس سوءًا مما اضطر ملك أسبانيا سنة 1518م ، أي بعد ثماني سنوات من الاحتلال والكساد ، إلى الاعتراف بإمكانات الليبيين التجارية ودعوتهم لاستلام الأمور في البلاد . وفي فترة وجيزة استطاع التجار

وأصحاب القوافل إعادة النشاط والحيوية لطرابلس (زليتنز / الطلحي 2001 : ص 47-48) وقد استفاد فرسان القديس يوحنا من التجربة الأسبانية واضطروا هم الآخرون بعد احتلالهم لطرابلس للاستفادة من خبرات الليبيين التجارية متجاوزين محاذير دينية تمنع التعامل مع الكفار المسلمين ولفك هذه المعضلة طالبوا سنة 1531 بفتوى من الحبر الأعظم بروما تتيح لهم المتاجرة مع المسلمين (زليتنز / الطلحي 2001 : ص64 ، سطر 1 ؛ جاك تري / الطلحي 2004 : ص 605).

أما المرأة التي قد يؤدي زواجها من تاجر متجول إلى فتح جدار العائلة للأغراب فاشترط العقل الجماعي الليبي أن تشتري أسرة الأب الأملاك من الزوج وأهله في حالة وفاة البنت المتزوجة ثم طور هذا فيما بعد إلى تعطيل النص القرآني بالكامل وقصر حقها في تمتعها بالميراث ما دامت حية فإذا ماتت فليس لعقبها شيء (انظر الوثيقة رقم -1- بالملحق). أما ضرورة الارتحال الطويل والبعد الملازمين لأي عمل تجاري في ذلك الزمن فقد صار التغلب عليه بالاستفادة من حق الزواج بأكثر من زوجة حسب مكان التجارة والمدة اللازمة لها . وهكذا تزاوج التجار الليبيون مع الأقوام

المتعاملين معهم تجاريا وصار بينهم نسب وتصاهر أدى إلى قيام جاليات ليبية في أفريقيا .

وهكذا اجتهد العقل الجماعي الليبي لتحقيق تجارة تنسجم مع منظومة القيم الدينية والاجتماعية الخاصة به مما ساعد على اتساع تجارة الليبيين وازدهارها (جاك تري / الطلحي 2004 : ص 600-605).

وقد فرضت هذه المهمة أي التجارة والتي كونت الجزء الأهم من الاقتصاد الليبي في العصور الوسطى كما يؤكد جرار [3]) <Gerard>) (زليتنر / الطلحي 2001 : ص 250 ، سطر 8) على الليبيين توفير البنية التحتية اللازمة لهذه المهنة والمتمثلة في التخزين والنقل والفنادق والاستراحات والأسواق والمساجد والزوايا وما سواها .

يقدر برتراند متوسط الجمال المتحركة على الطريق ما بين طرابلس وفزان بحوالي ألف جمل (برتراند / الطلحي ، ص 57) ويتحدث ابن خلدون (1332-1406م) عن قافلة مكونة من اثني عشر ألف جمل ، أما الإدريسي (1100-1166م) في نزهة المشتاق فيتحدث عن قوافل بأعداد ثلاثين

وأربعين ألف جمل . وكانت القافلة الواحدة عبارة عن مدينة متحركة فيها المؤذن والإمام والقاضي والشيخ والرئيس لكل مجموعة ومن هؤلاء الرؤساء يتكون مجلس القافلة ومن بينهم ينتخب شيخ القافلة وهو الذي يتولى التفاوض مع سلطات المناطق التي تعبرها القافلة ، كما كان بالقافلة الحراس والفنانون والمغنون والمصرفيون والتجار والسياح والحجاج والمتسكعون والمتجولون والكثير الكثير من أخلاط الناس والمهن (جاك تيري / الطلحي 2004 : ص 595) .

كانت القوافل ككرة الثلج تكبر كلما تدحرجت وكانت طرق القوافل بمثابة الأنهار والسواقي التي يحرص الجميع على تسهيل مساراتها وتنظيف مجاريها حتى تجري وتصل للآخر الذي يستفيد بدوره من وصولها وخروجها شمالا أو جنوبا ، شرقا أو غربا.

لقد تحولت الصحراء إلى مسالك وطرق أوصلت أواسط أفريقيا بأوربا واسيا حتى قدر أن ثلثي الذهب المتداول في منطقة البحر المتوسط خلال العصور الوسطى كان مستورداً عبر هذه الطرق من أفريقيا عبر التجار (Pekka Masouen 2006: P. 5 L. 28).

أما عن الأسواق فلا تكاد تخلو مدينة أو واحة من سوق بل أسواق ففي طرابلس وحدها كان هناك أكثر من أربعين سوقا (الأسواق بالمدينة القديمة إطرابلس : 2001) يقصدها الجميع بما فيهم ملوك أفريقيا للاتجار والتسوق (هـ. م. دوماتيسيو / الطلحي : ص 74) ويصف ابن حوقل (977م) طرابلس قائلا :" وكان لها في ربطها أسواق كبيرة حتى نقل السلطان بعضها إلى داخل السور " ويتحدث عن برقة قائلا :" التجار الأجانب كانوا يتوافدون على برقة آتين من الشرق والغرب للقيام بمشتريات " (جاك تري / الطلحي 2004 : ص 629) ، أما البكري صاحب كتاب المسالك والممالك فيميز طرابلس بأن لها أسواقا حافلة جامعة . (الأسواق بالمدينة القديمة إطرابلس 2001 : ص 14-15).

ويتحدث الكاتب مارمول L. Marmol من القرن السادس عشر الميلادي عن أسواق طرابلس بقوله :" على طول العصور كانت هناك (طرابلس) تجارة واسعة بسبب قرب نوميديا وتونس بالإضافة إلى عدم وجود بديل لها على امتداد الشاطئ حتى الاسكندرية واعتاد التجار من مالطا والبندقية وصقلية استعمال مينائها . كما كانت تتردد عليها السفن الحربية بسبب

تجارها المهرة . وكانت تكثر في المدينة المساجد والمدارس والمستشفيات والشواطئ . وكانت الشوارع أكثر تنظيما من الشوارع بتونس " (زليتنر / الطلحي 2001 : ص 29) .

وعن ثراء غدامس يتحدث حسن الوزان قائلا :" سكانها أغنياء بما يملكونه من نخيل ونقود وينشطون في بيع كميات كبيرة من السلع من أرض السودان " (زليتنر / الطلحي 2001 : ص 43).

ويوجد بطرابلس والمدن الليبية الأخرى العديد من المصدرين والموردين والمصارف التي بلغ عددها ستة مصارف بطرابلس وحدها سنة 1911م إضافة إلى بيوتات التوصية المملوكة للفرنسيين والإنجليز والإيطاليين والأتراك والبربر والعرب واليهود .. وكان التنافس بين هؤلاء قويا للسيطرة على السوق الليبي ويذكر برتراند حوادث على محاولات التجار العرب لاحتكار التجارة السودانية نظرا لما يتمتعون به من مكانة لدى سلاطين أفريقيا . (دوماتيسيو / الطلحي ، مخطوطة تحت الطبع ، ص 58) .

ويوجد بطرابلس ما يزيد عن خمسين فندقا لاستضافة التجار والغرباء وكذلك الحال في المدن الليبية الأخرى وأن بدرجات متفاوتة (الأسواق بطرابلس 2001 : ص 13-22 ؛ الفنادق بطرابلس : 2001) .

ومن المعلوم أن الحركة على الطرقات كان يتقاسمها التجار والحجاج . وقد حرص الليبيون على التجاوب مع المتطلبات المادية والروحية لرحلة الحج ، فالقوافل المنطلقة من غرب أفريقيا والمغرب الأقصى كان يتكون أفرادها من مالكيين وخوارج منضوين جميعهم تحت مدارس فكرية وصوفية سادت المنطقة خلال العصور الوسطى خصوصاً بين الطبقات الوسطى والفقيرة. لقد ساعد التصوف التجارة كثيراً بسبب تقويته للرادعين الديني([4>) والإجتماعي أي الذنب والعار. الفئات المستقرة كالمزارعين والعمال والصناع والفنانين والمهمشين عموماً وجماعات القبائل المرابطة الناقلة للتجارة، هؤلاء جميعاً، وعكس القبائل المحاربة المحتكمة لسيفها أو جَملها للدفاع أو الهروب، رفعوا سلاح البركة لا السيف واستقوو في ظلها بالغيبيات الصوفية والمتصوفين لتهديد الحكام والمتنفدين وتخويفهم بـ" الدعاء عليهم" وإحلال المصائب الربانية بهم من أجل تأمين حقوقهم والدفاع عن شرائحهم الضعيفة ورفع المظالم عنها.

لقد تحولت البركة إلى مبرر للإعفاء من الواجبات العامة كالتجنيد والضرائب وإلى جواز سفر تَعبُر به الجماعات الناقلة للتجارة طرق القوافل المارة عبر أراضي القبائل المحاربة دون عرقلة تذكر. كما تحولت – البركة – إلى قوة ناعمة لكنها فاعلة لدرأ سطوة السلط المدنية وذلها. هذه القوة الصوفية الغيبية أراحت العامة كثيراً وطمأنتهم روحياً ونفسياً واجتماعياً مما شجعهم على مزاولة حياتهم الطبيعية واستمرار إنتاجهم الزراعي والصناعي والفني وبالتالي استمرار دخولهم المؤثرة جداً في حركة التجارة ودوران عجلتها وزيادة ربحية التجار ونشاطهم.

هذه الوظيفة الحيوية للتصوف أدت إلى انتشار مدارسه المختلفة بين قطاعات واسعة من العامة وقبائل البركة حتى صار من الصعب جداً خلو أي قرية أو بلدة أو مدينة أو نجع بدوي ناقل للتجارة، خلوه من زاوية لهذه الطريقة أو تلك ومن أشهر هذه الطرق خلال العصور الوسطى هي القادرية والعيساوية والتيجانية والعروسية والأسمرية وحديثاً السنوسية.

وفي كل قرية ومدينة ليبية حرص أنصار كل مدرسة وطريقة على تأسيس زاوية بمرافقها الروحية والمعيشية بحيث تحولت هذه الزوايا الصوفية إلى مؤسسات خدمية مادية وروحية تقوم مقام المؤسسات الفندقية الحديثة فالحاج الغير الملتزم بأي من هذه الطرق والقادر على تدبير نفسه يستطيع الالتحاق بالخانات والفنادق المتوفرة في أغلب المدن والبلدات الليبية ، أما في الواحات والقرى فإن المساجد والزوايا كانت المقصد للحجاج . ففي كل قرية توجد ممتليات أو زوايا لكل الطرق الصوفية فالحاج المنخرط في الطريقة العيساوية يستطيع التأكد من أنه على طول الطريق من المغرب والسنغال وحتى مكة سيجد فرعا لزاويته أينما حل .

ففي آقار مثلا والواقعة على طرق القوافل المخترقة للجنوب الليبي كانت هناك فروع لأغلب الزوايا الصوفية ومنها زاوية الطريقة العيساوية ، ويتم التعرف عليها بأن يقصد الحاج المسافر الجامع الكبير في آقار لأداء الصلاة المفروضة وهناك يتم التعرف عليه واستلامه من قبل شيخ الطريقة العيساوية بآقار والذي يتولى تأمين إقامته وزوجته ومن معهما . وحتى لا تصبح هذه الاستضافة عبئا ماديا تقيلا على مسؤول الزاوية كان لكل زاوية وقف ، يصرف من ريعه على الضيوف والمريدين المسافرين من وإلى

مكة (انظر الوثيقة رقم -2- بالملحق). ولتحقيق كامل فرائض الاركان الصوفية يرتب شيخ الطريقة العيساوية للزائر حلقة يتم فيها دعوة كامل اتباع الطريقة لحلقة ذكر تتلى فيها الأوراد المحددة يشعر خلالها الضيف بأنه جزء من دائرة كبيرة متصلة الحلقات من بلده حتى مكة والعودة .

وتحفيزاً للناس على التجارة والاتجار أعلى المجتمع الليبي من القيمة الاجتماعية للتجار ووضعهم في الصف الأول في تراتبية الفئات الاجتماعية ، فهم الأغنى والأقرب للحكام والملوك وهم الرعاة للفنون والآداب والعلماء والأقدر على تحريك المجتمع والتأثير عليه (جاك تري / الطلحي 2004 : ص 593 وما بعدها).

أمنيــا :

الأمن ، وهو الشرط الضروري لأي تجارة ، تعترضه في ليبيا عدة ثوابت أهمها اتساع رقعة الأرض وطول مسافة الطرق ، وبدائية وسائل المواصلات ، وانعدام سلطة سياسية مركزية قادرة على بسط نفوذها

وإقرار السلم الاجتماعي والأمن وتنفيذ الالتزامات والمعاهدات وغيرها من لوازم التجارة الحساسة .

اجتماعيا ليبيا تتوسط مجالين مختلفين : مجالا مستقراً في كل من مصر وتونس ومجالاً بدويا في كل من الصحراء الكبرى والبحر المتوسط .
ونتيجة لذلك تحولت ليبيا إلى ما يشبه منطقة السيبة التي يلجأ إليها الفارون من الانضباط المدني في تونس ومصر كما أن الصحراء والبحر أفرزتا العديد من العصابات والقراصنة الذين ساعدوا على زعزعة الأمن وانفلاته .

وهكذا لم تساعد الطبيعة الليبية على قيام سلطة مركزية قوية موحدة وثابتة تستطيع إدارة البلد وإقرار الأمن . كانت كل قبيلة وكل مدينة بل وكل واحة أو تجمع سكاني يكون دولة شبه مستقلة عن الآخر ، فابن خلدون (1332-1406م) يصف فزان بأنها مجموعة واحات " كل واحدة من هذه الواحات وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار" (إبراهيم فخار 1984 : ص 57، سطر 15-18) ، وكذلك يفعل حسن الوزان (1552م) وغيره كثر (زليتنر / الطلحي 2001 : ص 42 وما بعدها .. الخ) ، هذه

النزعة الاستقلالية فرضت تجمعات سياسية كثيرة قادرة تلقائيا على نسف أي جهد تجاري يعتمد بطبيعته على الاستقرار والهدوء والأمن اللازم للتاجر والبضاعة .

اللافت أن كثرة هذه التكتلات البشرية لم تعترض التجارة وإنما شجعت على انسيابها بل واجتذابها بدليل كميات البضائع الهائلة التي كانت تعبر الصحراء الليبية في كل اتجاه وخلال أغلب مراحل التاريخ (زليتنر / الطلحي 2001 : ص 349 وما بعدها) وكأن هذه التجمعات المختلفة قد توافقت إراديا ، وفيما يشبه العقد الاجتماعي الملزم وغير المكتوب ، على الجمع بين الاستقلالية الفردية والانضباطية الجماعية ، هذا العقد يسمح بالاستقلالية ولكنه يرفض الفوضوية فمثلا عندما تجاوز قراقوش وابنه ، عن طريق الفوضى والحروب مع بنو غانية خلال القرن الثالث عشر الميلادي، حدود الاستقلالية الخاصة بهم إلى خصوصيات واستقلالية الآخرين بما اضر بالمصلحة العامة لكافة القوى المنضوية تحت مظلة زويلة بني الخطاب ، التي قتل أخر ملوكها سنة 1250م ، عندها تكاثف الجميع واستدعوا الجارة القوية كانم للمساعدة في القضاء على المتجاوز وإقرار " السلام الكانمي " الذي أحيا التجارة وأقر المصلحة العامة

والسلام حتى بداية القرن السادس عشر (جاك تيري/ الطلحي 2004 : ص 323 وما بعدها ، ص 486 ، زليتنر / الطلحي 2001 : ص7).

في الفترة ما بين 1500م و1550م أظهرت قبائل الخرمان والجهمة نفس الرغبة في الاستئثار والأنانية وتجاوز حدود الخلافات العادية إلى النزاعات والحروب التي نشرت الفوضى وأضرت بالجميع وحرمتهم من عوائد التجارة والاتجار بل تمادت إلى تعرية القيادات الاجتماعية والسياسية وإظهارها بمظهر الأضعف المهزوم عسكريا أمام الآخر . عندها تكاتف الناس للدفاع عن مصالحهم وأجلسوا على كرسي الحكم شخصية شريفة من مراكش هي شخصية محمد الفاسي الذي كون دولة استمرت من أوائل القرن السادس عشر إلى سنة 1811م. خلالها أكد المجتمع الليبي في فزان ، وفي أكثر من انتفاضة ، على تمسكه بهذه الدولة الناعمة السلطة لا الخشنة لأنها قامت أساسا على مبدأ التعادلية والتوفيق بين مطالب الحضر ومطالب البدو ، وبين الاعتماد على وجاهة البركة ومرابطيها وسيوف القبائل واجنادها ، وبين الاستجابة لمصالحها الخاصة ومطالب القوى العظمى في أفريقيا واسطمبول ودولة المدينة بطرابلس . بهذه التعادلية حققت إدارة سلطة أولاد محمد السلم الاجتماعي والأمن اللذين ضمنا لها الاستقرار

والاستمرار لفترة تعد من بين الأطول في تاريخ الدويلات الليبية خلال العصور الوسطى. (جاك تري / الطلحي 2004: ص 374 وما بعدها ؛ زليتنر / الطلحي 2001 : ص 320 وما بعدها) . وفي المرحلة ما بين سنة 1800 إلى 1842م حاول كل من يوسف القره مانلي وعبدالجليل سيف النصر ، بدافع الرغبة في الاستحواذ وسوء التقدير والتدبير ، تجاوز سقف الاستقلالية المشروعة لدولة المدينة ومشيخة القبيلة إلى الإضرار بالمصلحة العامة والإخلال بالتوازنات وإشاعة الحروب والفوضى التي أفقدت الأمن وحولت القوافل والتجار إلى مسارات بعيدة حرمت الناس من دخولها واستقرارها (جاك تيري / الطلحي 2004 : ص 376). عندها تظافرت الجهود للقضاء على الفوضى وإلزام الجميع بالتقيد بالعقد الاجتماعي وعدم تجاوز سقف المصلحة العامة . لهذا أيدت الغالبية عودة العثمانيين إلى ليبيا سنة 1832م وبسط سلطتهم المباشرة من أجل إقرار الأمن وتأمين سير القوافل وتحريك التجارة (الوثيقة رقم -3- بالملحق).

السؤال بعد هذه الوقائع التاريخية ، المتكررة كثيراً في التاريخ الليبي ، عن ما هو الأساس الذي يرتكز عليه العقد الاجتماعي الليبي في قبول الاستقلالية المتوازنة مع التبعية، والانضباطية المحكومة بالدوافع الذاتية –

الذنب والعار – أكثر من الخارجية – الدولة المركزية وجيوشها ؟ لا خلاف حول التوافق الجماعي على الحفاظ على درجة من التنسيق والأمن تسمح بتحرك التجارة عبر طرقها حرصا على الحياة ومصدر الرزق وإتقاءا لذل الحاجة والعار . لكن العامل المادي وحده لا يكفي لتفسير هذه الخصوصية الليبية والإصرار عليها لأن المادية وحدها تعد تهمة ونقيصة عبر المقاييس الدينية والاجتماعية الليبية .

لهذا لابد من البحث عن أسس أخرى إلى جوار العامل الاقتصادي نعتمد عليها لتفسير هذه الخصوصية الليبية القادرة على المحافظة على الاستقلالية ورفض الفوضوية .

النظام السياسي في ليبيا لا يقوم على المركزية المتشددة والتفرد بالقرارات ولكنه يعتمد أكثر على مبدأ التراضي واعتماد مبدأ الأول بين أقران. أن الخضوع المقترن بمظهر الهزيمة العسكرية والضعف أمام الآخر تمجه العقلية الليبية وتتحاشاه ، إلا في حالات الضرورة القصوى ، لأنه يؤدي إلى الوقوع في رذيلتي الذنب الديني والعار الاجتماعي . إن العقل الجماعي الليبي منعقد على قاعدة أن الخضوع لغير الله مذلة ، عليه لابد من مبرر

مقبول ومعقول يفلح في تفسير وتبرير الخضوع للآخر والآخر المحلي بالذات لأنه وعلاوة على الذنب الديني فإن المعايرة الاجتماعية بالتبعية له والدونية منه أهون منها الموت . فشيخ القبيلة أو حاكم المنطقة لا يحب أن يُرى أمام رعاياه بأنه أقل أو أضعف من الآخر ، أي شيخ القبيلة المجاورة ، نظراً لما يعنيه ذلك من استنقاص له ولكل القبيلة وفقا لقيم العسكرية والفروسية . في المقابل فإن الخضوع أمام الرمز الديني المسيطر سياسيا بمسميات " صاحب الصلاة " أو " إمام " أو " شيخ " أو " مرابط " لا يسبب إحراجا لأنه يؤول في الغالب على أنه تقرب من الله لا خوف من بشر . لهذا السبب عمرت دولة بني الخطاب بزويلة من 917 إلى 1250م ، ودولة أولاد محمد بمرزق من 1500م تقريبا ([5<])إلى 1811م ، لان سلطتهما اعتمدت على الإمامة والإمارة أي البركة والحركة أو السلطة الدينية والسلطة المدنية. فالالتزام بالانخراط تحت مظلتهما الدينية ، ظاهريا على الأقل ، لا يعرض الفاعل لمحظور العار الاجتماعي ويمكنه في ذات الوقت من التمتع بكل الفوائد المادية الناجمة عن التجارة وغيرها.

وهكذا تحول الذنب الديني ، المرتبط أكثر بالاستقرار والمركزية ، والعار الاجتماعي ، المرتبط أكثر بالبداوة واللا مركزية ، إلى رادع حال دون

التهور والمغامرات غير المحسوبة ودون الخضوع والتبعية المذلة . هاذان الرادعان شددا على إقرار نظم السلم الاجتماعي من غير سجون أو شرطة رسمية في أغلب الأحيان والمناطـق . ونتيجة لذلك التزمت الجماعات المختلفة بقاعدة النفع العام ومبدأ عش ودع غيرك يعيش . فترسخت مع الزمن مسالك التعاون وتشابكت مصالح الجماعات الليبية المختلفة بما سمح بتدفق مستمر للقوافل عبر الطرق الليبية مما عوض النقص الهائل في الموارد الطبيعية والدولة المركزية القادرة .

وثيقة رقم (1) – أ -

الحمد لله وحده

اشترى المرابط يوسف بن الفقيه ابوبكر له ولاخيه الطاهر من احمدو بن مجيده جميع ماصح له من ورث زوجته مبروكة بنت الفقيه ابوبكر المتوفيه الى عفو الله في بلد آقار من ارض ونخيل وماء وحيشان بور ومعمور حاش الحبس وللصدقات الذي للطاهر واشترى ايضا نصيبها في زلاف وبستان مغيث الذي في بلد براك معروف مكانه والبرج الذي ببلد براك وسهم ابنته سعيده ..... الذي بتمزاوه تعرف وتسمى بسانية ابو الحسن واما سهم احمد

والمذكور في السانية المذكوره بارده للمرابط يوسف ليس لاخيه الطاهر فيه شئ. اشترى جميع ذلك الاماكن المذكورات من البائع المذكور في صفقه واحده وعقد واحد اشتراء صحيحا جائزا ناجزا بثا بثلة بلى اشترى ..... ولا على سبيل رهن ولا بثمن جملته ومبلغه ومنتهاه ثلاثة مثاقيل ونصف مثقال ذهب بالوزن...... قبضه البائع من المبتاعين حاشا سته عشر خروبه باقيات لاحمدو على المرابط يوسف صبر لهم فيهن الى ادراس الزرع شهد بذلك من عرفهما بتاريخ شهر الله .... بعد الالف (1043هـ)

الحمد لله وحده.

يشهد من يضع اسمه عقب تاريخه أنه احمدو بن مجيده خلص في ستة عشر خروبه الباقية له مما في باطن الرسم من المرابط يوسف المذكور بباطن الرسم قبضهن من المبتاع المذكور بباطن الرسم... مستوفيا وبريت ذمة المرابط يوسف من ذلك وقيد شهادته هنا لطالبها من عرفهما وسمع منهما بحالة الصحة والطوع وجواز من الأمر وذلك بتاريخ شهر المحرم فاتح عام 1043هـ ثلاثة وأربعون سنة بعد تمام الألف احمدو بن مجيده وأبو بكر بن شياهين بن عثمان

وثيقة رقم (1) - ب -

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما

حبس رغبة في ثواب الله عز وجل المكرم التقي الزكي الولي سيدي أبي بكر بن سالم بن يوسف بن سيدي أبي بكر شيوخ البركه على ابنائه الذكور وهما محمد وسالم وما يزداد ويأتي له من الذكور دون الأناث مدة حياته جميع السواني الذي انشأ بحطيه ققم اولهن السانية الذي يقاللها جنة ادخيل مع السانية الذي تسمى جنة عليوان مع السانية الذي تسمى جنة كريم مع السانية الذي تسمى عندهم القرعان بوسط الوادي مع السانية الذي تسمى جنة الطريق مع السانية الذي تسمى عندهم جنة الطويله جنة البيت بل نصفها حبس بأعلاه ونصفها حبس على الكبير الذي يقعد زاوية في بلده آقار أن ياخذ ينفقها في سبيل الله على الزاوية مع الابيار والغرس الذي مغرس بحطية ققم مع البيت الذي أنشأ بنيانه بالحطية المذكوره حبس ذلك الاماكن المذكورات على الابناء الذكور المذكورين ومما يزداد له من الذكور مدة حياته دون الاناث حبسا مؤبدا ووقفا مسرمدا لايتبدل عن حاله ولايتغير عن سبيله ما دامت الايام والدهور فمن سعى في تبديله او تغيره فالله حسبه

ومطالبه ومجازيه وولي الانتقام منه وسيعلم الذين ضلموا أي منقلب ينقلبون حبس ذلك الاماكن المذكورات على ابنائه المذكورين الذكور ومما يزداد له من الذكور وكذلك ابناء الذكور المذكورين على بنيهم وبني بنيهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم لامدخل لبنت الولد او لبنت المحبس في هذا الحبس على الذكور خاصة ويأكل ولد الابن ان مات ابوه مع وجود اعمامه واشترط القسمه المحبس بينهم ان ادعى اليها احد منهم ويجبر من اباها عليها فان انقرضوا من آخرهم ولم يبق منهم احد فيرجع ملك للمحبس ان كان حيا فان مات قبل ان ينقرضوا تم انقرضوا بعده فيرجع لأقرب عصبه للمحبس المذكور حتى ينقرضوا عن آخرهم الأقرب فالأقرب تم يرجع بعدهم لجامع البلد المذكور لمن يتولى امره من امام ومؤذن ومصلح له من حصران ومصباح حبس ذلك على جميع من ذكر على ترتيبهم بعد ان استثنى ثلث الغلة يستغلها مدة حياته فاذا مات رجع حبسا مؤبدا ووقفا مسرمدا لايتبدل عن حاله ولايتغير عن سبيله على عادت التحبيس الجاري بين المسلمين اعتمادا وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث صدقه جاريه الى آخر الحديث واشترط المحبس المذكور ايضا ان ليس لمن ذكر في غلته حتى تخرج زكاته وجعل ناظرا على ذلك ومحاسب عما يضيع من الزكاة عند غير اهلها فليتق الله من توكل عليه وليبذل جهده

فيما ينفعه من الحساب لديه فمن سعى في تبديله او تغييره فالله حسبه وولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وحاز محمد المذكور له ولي اخيه سالم .... ولمن ياتي بعده ..... الذكور حتى يبلغوا مبلغ الحوز ......

الحيازه مع الطواف والتحويز بتاريخ شهر الله جماد الاخر الذي بعام 1133 ثلاثه وثلاثين ومائة والف .

وثيقة رقم (2)

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و اله وصحبه و سلم

يشهد الواضعون أسمائهم أسفل هذه شهادة الله عز و جل لا عندنا فيها شك ولا ريب لمعرفتهم للماء الكائن ألي مرابطين أقار الذي هو بعين أقار بيد المرابط الواقف على المرابطيه المذكورين و مباشرا بينهم و بين الحكومة يتناولوا فيه مرابط بعد مرابط كل ما انفصل مرابط من وظيفة المشيخة و رتبوا غيره يتلقه الذي يترتب بعده لكونه الماء المذكور و النخيل العائد ألي

هذه الوظيفة موقفه جدهم على الذي يكون واسطة بينهم و بين الحكومة عوض أجرته و من عصر جدهم و هم على هذه السيرة ألي عصرنا هذا هذا الذي في علمنا و بكل شيء عليم قيد ذلك لطالبها بتاريخ 20 ربيع الثاني سنة 1334 لكونه المرابط الذي بيده هذه الماء و النخيل يصرف منه على عابر السبيل و ذلك بتاريخ 20 ربيع الثاني سنة 1334 عبد الرحمن بن ياقة بن ا محمد و محمد سوف جين عبد الرحمن محمد بن اطراد بن عبد الله المغربي محمد بن أبي بكر بن عباس امبيه بوقيله أبي سيف و ناقلا ...... عنه لعدم معرفته للخط محمد بن أبي بكر بن عباس و بمثل الناقل المذكور علي بن عبد الله و محمد بن عبد الرحمن المغربي و أحمد بن أبي بكر بن احمد بن عبد الله و امحمد بن أحمد الجفوري و محمد بن أحمد الجفوري امحمد بن محمد بن عبد الرحمن احمر لحيه و بمثل الشاهد المذكور أعلاه الشريف محمد الزروق بن الشريف الزروق تيب عليه أمين و بمثل الشهود حسن بن الشريف محمد بن حسن .

وثيقة رقم (3)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده

يشهد الواضع اسمه عقب تاريخه شهادة لله ولرسوله لاشك عنده فيها ولاريب بمعرفتي وعلمي لمرابطين آقار المعرفة التامة انه في سالف سنة اثنان وخمسين (وقعت) محاربة بينهم وبين عبدالجليل بن غيث السليماني لأنه حينئذ متولي امر فزان فوقع له منه ماوقع من الضرة، رفعوا أمرهم لوالي طربلس وبايعوه فلما سمع ذلك عمل لهم تجاريد (ومحاربة) ونزل عليهم في البلد وحاصرهم وطالت محاصرتهم فبعد ذلك خدعهم بالأمان وحلف (الكتاب) حتى خرجوا له فذبحهم عن أخرهم ولا بقى منهم الا الذي لم حازته البلد غايب عنها في العربان وأخذوا البلد بأجمعها وتملكها ملك وأخرج النساء والصغار وتفيا جميع ما فيها من جميع الأشياء كلها حتى من الكتب وعقود الأرسام جمعوهن الذي نقلوه نقلوه والباقي أطلقوا فيه النار وحاز البلد هو وتجاريده وسكن في البلد أناسه وعبيده ولم بقى من المرابطين احد مدة من السنين الى ان قتل عبدالجليل المذكور ورجعتهم الدولة العلية الى بلدهم في علمي ذلك مع تقدم وتأخر الكتب الى وقت طلبه وذلك بتاريخ شهر الله صفر الخير سنه اثنان وتسعين والمائثين وألف عبد ربه واسير ذنبه محمد بن الشريف العباس بن البشير بن الشريف وعبدالكبير المغربي المشيش تاب الله عن الجميع آمين وأحمد بن محمد

الأوجلي تيب عليه آمين وبمثل الشهود المذكورين ابراهيم بن يوسف وحسن بن احمد بن (اهواد) واحمد بن نصر ومبارك بن سليمان يشهر قرينات وحبيب الله بن احمد وجمع (......) نقل عنهم بأذنهم ومحضر هم لعدم معرفتهم للخط عبدالله بن حامد بن الحاج عيسى وفقه الله آمين وبمثل الناقل المذكور احمد بن (......) تيب الله عليه وعبدالقادر بن محمد بن الصالح بن على وبمثل الشهود المذكورين الشيخ احمد بن رجب ونقل عنه محمد ونقل عن احمد المذكور.

[1> - كل مدينة وقبيلة كانت تفرض ضرائب خاصة بها على الأشخاص والقوافل . ولإعطاء فكرة عن ذلك فإن ملك غانا كان يتقاضى ديناراً من الذهب عن كل حمار يمر ببلده . أما اجدابيا فإن صاحب صلاتها أي إمامها كان الجابي للضرائب أي الإتاوات على الجمال والحمير والبغال والرقيق وكل السلع المارة ببلده . وكذلك كان الحال في سرت ومصراتة ولبدة وطرابلس وزلة وودان وغدامس وبلدات جبل نفوسة وزويلة وغيرها . (جاك تري / الطلحي 2004 : ص 598 وما بعدها).

[2> - لودفيغ سلفاتور. [أحد أمراء الأسرة الإمبراطورية الحاكمة في النمسا حتى سقوط الامبراطورية في 1918 وتدعى أسرة ادهابسبورغ وكان والده دوق توسكانه الإيطالية حتى 1859>. زودني بها وترجمها لي مشكوراً د. عماد الدين غانم.

[3> - جيرار، كان أسيراً فرنسياً في طرابلس في القرن السابع عشر.

[4> - لمزيد من التحليل حول هذه النقطة أنظر: محمد الطاهر الجراري، الخصوصيات الليبية أو ثقافة الذنب والعار؛ المجتمع الليبي 1835 – 1950، طرابلس 2005.

[5> - جاك تيري يقترح 1510 تاريخا لتأسيس مرزق ولهذا يكون افتراض 1500 بداية لحكمه مقبولا (جاك تيري ، ص 365).

مصادر البحث

- PEKKA MASONEN The Transharan Trade and the west African Discovery of the Mediterranean

- World the Third Nordic Conference on Midde East :Studies

Ethnic Encounter and Culture Change. Joensun, Finland .19 - 22 june 1995

- Procopius :

Books III and IV tranal H.B.Dewing loeb Classical .Library

- غيرهارد رولفس ، عبر أفريقيا ، ترجمة عماد الدين عغانم ، الجزء الأول ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية بسبها .

- فلفيوس كريسكوينوس كوريبوس ، ملحمة الحرب الليبية الرومانية ، ترجمة محمد الطاهر الجراري ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1988.

- الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المشهور بليون الأفريقي وصف أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، جزء 1-2 الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 .

- إدارة التوثيق والدراسات الإنسانية ، مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة ، الفنادق بالمدينة القديمة إطرابلس ، 2001 .

- إدارة التوثيق والدراسات الإنسانية ، مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة ، الأسواق بالمدينة القديمة إطرابلس ، طرابلس 2001 .

- جاك تيري ، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 2004 .

- جان كلود زليتنر ، طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط أفريقيا 1500-1795م ، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي ، الدار الجماهيرية ، طرابلس ، 2001 .

- عبدالله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، 1984 .

- إبراهيم فخار ، تجارة القوافل في العصور الوسطى ودور التجار الليبيون في حضارة الصحراء الكبرى ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984 .

- خليفة محمد التليسي ، حكاية مدينة ، طرابلس ، 1974.

- دوماتيسيو ، هـ . م. عبر طرابلس الغرب ، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي ، مخطوطة تحت النشر .

- البكري. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق مصطفى السقا. بيروت 1983.